(٥)

الفلسفة التطبيقية
وتطوير الدرس الفلسفى فى مصر[١]

كثيرا ما طرحت على نفسى هذا التساؤل منذ التحاقى بالدراسة فى قسم الفلسفة منذ مطلع السبعينيات من القرن الماضى وخاصة بعدما عرفت مدى قيمة الفلسفة وكيف أنها أم العلوم وصانعة الأفكار الرئيسة للتقدم الحضارى لكل الأمم، ما السبب فى هذا الإعراض من قبل جمهور الناس عن الفلسفة، وما السبب فى هذا الهجوم الضارى على الفلسفة والاتهامات التى توجه لها بدون وجه حق؟! وما السر وراء انتشار هذه العبارة الغريبة، عبارة «بلاش فلسفة»؟! ولماذا يوحد الناس بينها وبين الغموض وعدم الفهم مع أنها علم التفكير وإعمال العقل للوضوح والفهم وليس للإبهام والغموض؟!

والحقيقة أننى وجدت أن جانبا كبيرا من المسئولية عن ذلك يرجع إلى أساتذة الفلسفة والمتخصصين فيها فى مصر وفى عالمنا العربى ؛ فهم

(١) كلمة ألقيت فى الجلسة الافتتاحية للملتقى الذى عقدته لجنة الفلسفة تحت نفس العنوان بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة يوم الأحد الموافق ٢٦ يوليو ٢٠١٥م.

يكتبون فيها بلغة مليئة بالمصطلحات الغامضة الملغزة التى يصعب فهمها ليس فقط على القارئ العام بل ربما أيضا على القارئ المبتدء فى التخصص، وكذلك فإنهم فى البرامج الدراسية وفى محاضراتهم حتى العامة منها يركزون كثيرا على تاريخ الفلسفة ومشكلاتها منذ العصر اليونانى وحتى العصر الحديث دون أن يوضحوا مدى جدوى ما يقولون وما يستشهدون به من أقوال هؤلاء الفلاسفة عبر العصور فى حل مشكلات الواقع المعاش للناس، ودون أن يكشفوا عن ما تقدمه الفلسفة أو الفلاسفة من وسائل يمكن أن تتحسن بها حياة الناس ويمكن من خلالها أن يتقدموا فى حياتهم العقلية والعملية!! والطريف أن ذلك يحدث فى الوقت الذى يعلم فيه هؤلاء الأساتذة أن فلسفة أى فيلسوف من هؤلاء الفلاسفة الذين يعرضون لهم لم يكتب فلسفته إلا تعبيرا وانعكاسا لواقع فكرى وسياسى واجتماعى وعلمى معين عايشه ويعبر عنه وعن مشكلاته واصفا إياها وعارضا لحلول جديدة لها، كما يعلمون أنه لا يوجد فى تاريخ الفلسفة إلا فلاسفة يقدمون الرؤى العقلية الضرورية لتحسين حياة البشر وللاجابة على تساؤلات جوهرية تطرحها عقولهم دون أن يكونوا قادرين على الوصول إلى إجابة شافية أو مقنعة لها، ومن ثم فإن الفلسفة وتاريخ الفلسفة لم يكونا بأى وجه بعيدين عن واقع الناس ومشكلات حياتهم العملية منها والعقلية!! فما بال علم أساتذتنا بذلك لا يصل من خلال كتاباتهم للناس فى بلادى!! وما بالهم لا يهتمون ـ إلا القليل منهم من أصحاب المشاريع الفكرية التى قد تلامس قضايا الواقع طارحة حلولا لها ـ بقضايا واقعهم وبمشكلات بلادهم وحضارتهم!! وماباالهم حتى وهم يهتمون بهذه القضايا وتلك المشكلات الواقعية لا يعبرون عن

رؤاهم وحلولهم بلغة سلسة وأداتية سهلة الفهم على القارئ سواء كان متخصصا أو غير متخصص!!

إن علينا إذن أن نعترف بنوعين من التقصير من قبلنا قبل أن نتهم الناس بالجهل والبعد عن الفلسفة واتهامها بتلك التهم التى نرفضها تماما، ليس لأنها بعيدة عن الواقع فقط، بل لأنها تصرفنا وتمنعنا عن الاستفادة من الفلسفة وفعل التفلسف العقلى الذى هو أساس من أسس التقدم الحضارى لكل الأمم والشعوب والحضارات؛ أولا: نحن نقصر فى حق الفلسفة والتفلسف حينما نكتب بلغة تخصصية شديدة الالغاز ومغرقة فى الغموض الاصطلاحى دون أن نبذل جهدا حقيقيا فى الحرص على التعبير بلغة سلسلة واضحة يفهمها الجميع، ولنا أسوة حسنة فى هذا المقام باللغة التى كان أستاذينا الجليلين د. زكى نجيب محمود ود. فؤاد زكريا رحمهما الله يستعملانها حتى فى كتاباتهم التخصصية حيث كانا يعبران عن أعقد القضايا الفلسفية بأسلوب مبسط يفهمه كل من يقرأه. ثانيا: نحن نخطئ فى حق الفلسفة ودورها التنويرى فى حياة الناس حينما نقصر الدرس الفلسفى على عرض نماذج من تاريخها الطويل غافلين عن التساؤلات التالية: ما جدوى ذلك العرض التاريخى؟! وكيف يمكن الاستفادة من رؤية هذا الفيلسوف أو ذاك فى معالجة هذه القضية أو تلك من القضايا والمشكلات التى تهمنا والتى يعانى منها مجتمعنا ؟! وماهى الحلول التى يمكن أن نطرحها نحن لمعالجة هذه القضايا والمشكلات بحيث يمكن لمجتمعنا أن يتجاوزها، وأن يحقق من خلالها تقدمه ونهضته المستقلة؟!

من هذه التساؤلات وغيرها نكتشف ببساطة أهمية الفلسفة التطبيقية، وأهمية الدعوة التى يدعو إليها مؤتمرنا هذا لتحويل الدرس

الفلسفى المصرى من درس نظرى يركز على عرض النماذج من فلسفات العصور المختلفة ومشكلاتها، إلى درس تطبيقى يستهدف فى الأساس الاستفادة من مبادئ ومقولات ومناهج التفكير الفلسفى المختلفة فى معالجة قضايا الواقع والكشف عن أبعادها وتقديم الحلول المناسبة لها. فمجتمعنا المصرى وكذلك العربى والاسلامى يعانى من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية ينبغى لفلاسفتنا أن يعبروا عنها ويقدمون رؤاهم الواقعية حاملة الحلول لها مثل مشكلات التعصب الفكرى والدينى ومشكلات حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وانتشار الأمية والبطالة، كما أن مجتمعنا يعانى من مشكلات بيئية تتقاطع مع مثيلاتها فى الغرب أحيانا وتختلف عنها أحيانا أخرى والمطلوب توصيفها وتقديم حلولا مبتكرة لها، كما أن المشكلات الناتجة عن التقدم العلمى المعاصر كالمشكلات الناتجة عن الاستنساخ وتأجير الأرحام وتجارة الأعضاء والهندسة الوراثية وغيرها تعنينا ربما أكثر مما تعنى الغرب لأن بعضها يتعارض مع قيمنا الأخلاقية وعقيدتنا الدينية ومن ثم فلابد من أن نناقشها ونبلور رؤيتنا المحددة حولها من المنظور الفلسفى والأخلاقى والدينى، وكذلك تداهمنا مشكلات العولمة وماترتب عليها من الفضائيات والسماوات المفتوحة والانترنت وكلنا أصبح يعرف الآن بعض الأخطار التى ترتبت عليها ويعانى منها أطفالنا وشبابنا ومن ثم فلابد من مناقشة تداعيات كل ذلك ووضع ميثاق أخلاقى يتعلق بكل منها يكون بمثابة استراتيجية عربية للتعامل معها. ولن يكون مواجهة كل ذلك إلا من خلال فلسفة معاصرة للتربية وبنظم تربوية حديثة وفاعلة تدرب أبناءنا على التفكير العلمى والتفكير الناقد الذى يمكن هؤلاء الأبناء من التعامل الايجابى مع كل هذه المستحدثات والاستفادة

منها بدلا من الاستغراق فيها والوقوع فى مستنقعاتها التى من شأنها هدم القيم وفقدان الهوية وضياع الانتماء!! إن مجتمعنا يعانى من انهيار أخلاقى وانقلاب لسلم القيم، ليس فى إطار القيم الأخلاقية التقليدية فقط، بل أيضا فى إطار أخلاقيات المهن والعمل فلم يعد أحد يحرص بجدية على اتقان العمل ولم يعد يلتزم أحد بأخلاقيات مهنته ونحتاج لإعادة كل تلك المنظومة القيمية ليس إلى سابق عهدنا بها فقط بل إلى تحديثها بما يتوافق مع مستحدثات العصر الذى نعيشه وبما يحافظ على خصوصيتنا الثقافية وقيمنا الحضارية الأصيلة الداعية إلى اتقان العمل والأخلاص فيه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون». إن كل هذه وغيرها قضايا للفلسفة التطبيقية التى هى موضوع مؤتمرنا ينبغى أن تلفت انتباهنا وتكون موضوعا لتأملاتنا الفلسفية ليس بغرض وضع الحلول النظرية المجردة لها، بل بغرض وضع الحلول ممكنة التحقق وممكنة التطبيق.

إننا نتمنى أن يكون مؤتمرنا هذا نقطة تحول حقيقية فى الدرس الفلسفى المصرى فى ربوع مصر كلها مدارس وجامعات، وإذا كنا فى جامعة القاهرة قد خطونا فى ذلك عدة خطوات من خلال البرامج الجديدة التى أنشأناها وبدأت تؤتى ثمارها سواء فى برامج الدراسات العليا بالقسم من خلال دبلوم الفلسفة التطبيقية أو من خلال برنامج ليسانس الفلسفة النظرية والتطبيقية فى التعليم المفتوح، فإن الخطوة الأهم فى اعتقادى هى تلك الخطوة الكبيرة التى خطتها وزارة التربية والتعليم باعتمادها لبرامج دراسية جديدة فى مقررات الفلسفة والمنطق فى الفرق الثلاث فى الثانوى العام وخاصة فى مقرر الفرقة الثالثة حيث سيركز هذا المقرر على تعريف

الطلاب وحفزهم على التفكير الفلسفى فى بعض فروع وقضايا الفلسفة التطبيقية والمنطق التطبيقى. ولعل مؤتمرنا هذا يكون فرصة لمعلمى الفلسفة فى المدارس المصرية وكذلك لكل المعنيين بالتجديد الفلسفى للتعرف على معنى وفروع وقضايا الفلسفة التطبيقية ودورها فى بلورة وحل الكثير مما يواجهه مجتمعنا والعالم من مشكلات وتحديات.

وفقنا الله إلى ما فيه الخير لأمتنا العربية ولوطننا الغالى مصر....